ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام في إفريقيا

المؤتمر الدولي

الإسلام في إفريقيا

26-27 نوفمبر 2006

6-7 ذو القعدة 1427 هـ

جامعة إفريقيا العالمية

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا

وزارة الإرشاد والأوقاف

جامعة إفريقيا العالمية　　جمعية الدعوة الاسلامية العالمية　　وزارة الارشاد والاوقاف

المؤتمر الدولي

الإسلام في إفريقيا

26 -27 نوفمبر 2006
6 - 7 ذو القعدة 1427

الكتاب الرابع: أوراق المؤتمر

إنتشار الإسلام في إفريقيا
دور العلماء والتجار

د.حسين أحمد*

إن العلاقة بين الإسلام والتجارة في إفريقيا شبه الصحراوية معروفة تماما.

لقد حمل التجار والعلماء المسلمون المتجولون الإسلام فدخل الإسلام أولا....ليس كدين اهتدى إليه حديثا يبحث عن معتنقين ولكن كدين لطبقة التجار يميل أساسا للتجارة.

إن اهتمام التجار بالهداية قليل وبالرغم من ذلك فان الذين يمثلون الإسلام حقيقة هم التجار وعلماء الدين، إذ أن الشخص منهم غالبا ما يقوم بأداء الدورين معا.

لقد دخل الإسلام غرب إفريقيا بمجهودات فردية قام بها تجار شمال إفريقيا الذين كانوا مسلمين وكانوا بمثابة دعاة هواة.

تحتاج العلاقة بين التجارة والإسلام بصفة خاصة لنظرة جديدة، إذ غالبا ما ادعى أن الحتمية الاقتصادية تهدد بابتلاع العنصر الديني.

إن تاريخ الدعوة عموما وانتشار الإسلام في إفريقيا والتي تنطبق على كافة الأقاليم فى مثل هذه القارة الإفريقية الكبيرة قد أعاقها تنوع وتعقد البيئة المحلية والخارجية التي دخل من خلالها الإسلام. إن الآلية التي استخدمت بواسطة الرجال الأوائل الذين حملوا العقيدة و بواعث انتشاره

* اثيوبيا.

وحتى وفقا للجوار الجغرافي لمهد الإسلام؛ بالرغم من ذلك ، فان بعض الأنماط العريضة والمحاور العامة والمظاهر لعملية الدخول في الإسلام يمكن إدراكها وتمييزها.

إن أهم أهداف هذه الورقة هو بحث بعض المظاهرالتى تم اختيارها لانتشار الإسلام في إفريقيا،ولإظهار بعض المواضيع التي تحتاج الي إعادة تفكير وإعادة تقييم ، ويشمل ذلك اطوار ومراحل إنتشار الاسلام ومساهمات العلماء والتجار في غرس الاسلام واندماجهم في المجتمعات الإفريقية.

إن محاولة الكاتب الآن هي ليست نقداً للوسائل والاساليب الموجودة لدراسة الاسلام في إفريقيا بل هي بمثابة دعوة لإعادة فحص افتراضات معينة ونماذج لانتشار الإسلام ، واقتراح لخطوط جديدة للتفسير.

يمكن القول ان الاسلام قد احرز موطن قدم في إفريقيا من خلال سماحته التي إتسمت بها الجيوش التي صاحبت دخوله ،والوحدة الثقافية والسياسية التي اعقبت ذلك مما ساعد علي ظهور المملكة الاسلامية في مصر وشمال إفريقيا ،وهجرة واستقرار القبائل العربية والتجار والنخب العلمية الاسلامية في شمال إفريقيا وشرق السودان (7). ان مبادرات ومجهودات الدعاة والتجار والحكام في غرب ووسط السودان ، وان النشاطات المساندة والمعززة للتجار الأجانب والتجار المحليين والعلماء في اثيوبيا وفي القرن الإفريقي وساحل إفريقيا الشرقي ؛ كل هذه الأحداث الهامة التي أدت الى تقدم الإسلام وأحيانا أساليب منع انتشار الإسلام في إفريقيا موثقة توثيقاً جيداً .

وعلاوة علي ذلك فان أحد المواضيع التي حظيت بدراسة متأنية ، والمواضيع الهامة في تارخ انتشار الإسلام في إفريقيا هي الاساليب التي قدم بها الاسلام للسكان المحليين في القارة الافريقية في خلال الفترة الاولي والحرجة للمواجهة بين حاملي الدين الجديد واتباع الانظمة العقديَة التقليدية ،وطبيعة ومدي استجابة الافارقة المتمثلة في الطبقات الحاكمة وعامة الناس. هل قدم الإسلام دعوة مفتوحة وعامة ؟ كيف تم اعتناق الإسلام في الحالات الفردية والجماعية ؟ من هم حاملو الرسالة الاصليين والذين رعوها؟ ماهي اللغات االمستخدمة ، المفاهيم الرمزية التي استخدمت لتعليم الدين؟ إلي أي حد استطاعت الأنظمة التقليدية تقويض الدين الاسلامي ؟ كيف تم تبرير الدخول في الدين الجديد ؟

لقد سأل فيشر نفس الاسئلة فيما يتعلق بتوسع الإسلام في السودان الأوسط ؟

ان من مهام المؤرخين الاسلاميين في إفريقيا البحث عن إجابة لمثل هذه الاسئلة وذلك بالبحث عن بينات من المصادر والاشخاص الذين هم علي قيد الحياة بالإضافة الي المصادر الشفهية . ان هذا شي أساسي لان المادة المكتوبة عن الإسلام بالرغم من غزارتها ،إلا انها لم تسأل نفسها الأسئلة المذكورة أعلاه وبدلاً عن ذلك تعكس الإفتراضات التي تقول إن دخول الغزاة المسلمون ،والتجار والعلماء أدي الي اعتناق الإسلام ،وتستكين للعوامل التي سهلت الدخول في الإسلام او أعاقت الدخول فيه. إن هذه الورقة لاتحاول الإدعاء بانها تقدم إجابات سهلة او ان تعرض مادة جديدة للسوأل الذي سئل مبكراً ،انها تحاول جذب إنتباه

العلماء للحاجة العاجلة لحل الاسئلة خلال إطلاعهم علي المصادر المكتوبة الرئسية او الفرعية مع القيام بأبحاث ميدانية .

من وجهة نظر هذه الورقة ان المرحلة الاساسية الاولي والحدث الهام في تاريخ الإسلام في إفريقيا يجب الا يربط فقط بالإتصال المبكر بين الاسلام وإفريقيا ، ولكن ببداية الدعوة الفعالة للإسلام بين السكان المحليين. في الواقع إن أي تحليل لتاريخ الإسلام في إفريقيا يجب ان يبدأ بالفترة التوسعية النشطة .

• هناك سؤال مشابه يتعلق بتاريخ الاسلام في إفريقيا الا وهو دور العلماء والتجار في نشر العقيدة. إن المستندات والاقتباسات التي استخدمتها هذه الورقة تعكس المواقف – بعضها مكمل والآخر متنافي مناقض – العلماء هذا الموضوع وإجمالاً فان بحثاً جديداً قد انصرف الي المساهمة الكبيرة التي قام بها العلماء لنشر الإسلام (10) ولقد ألقت بظلال من الشك علي الدور المتعلق بدور التجار الذي لعبوه في الدعوة الإسلامية(11)مثل هذا الإتجاه فانه يعمل علي إضعاف وجهة النظر التي كانت سائدة وراسخة والتي تلائم الإسلام وتوضح وتبين عدم الملاءمة لمعالجة وتفسير وترجمة تاريخ الإسلام في إفريقيا من حيث الغزاة والتجار كما ناقش (فيشر) بأسلوب مقنع :" نظرية الدخول الديني المستقل في السودان، فقد ارتبط بضعف فيما يتعلق بالتجارة. يبدو أنها قد عززت بدليل تجارة البحر الأبيض المتوسط ،والتي سمحت الي حد ما بالتفاعل والتداخل الديني ،وليس التحول الديني .

المشكلة الثالثة مرتبطة باستمرار الإسلام في إفريقيا بناء علي العديد من نماذج النظريات التي أوردها الكتاب فمثلا نموذج

(هانويك) Hunwick فيما أطلق عليه نموذج الأسلمة فهو يفترض أن وصول واستقرار التجار المسلمين بحثاً عن المنتجات المحلية قاد إلي اتصال بالسكان المحليين وان المعرفة السابقة بالقراءة والكتابة باللغة العربية سهلت عليهم وبعد ذلك صاروا مستشارين للحكام وصاروا مهيمنين علي بعض السلع التجارية.

إن الحكام والدوائر الحاكمة قد استقطبت تدريجياً الي الإسلام. ففي البداية فان مظاهر الدين الجديد لا يتناقض بصفة أساسية للمعتقدات والممارسات المحلية، فقد تم قبول شعائر الصلوات والصيام والكتاب الكريم وقد نظر إليها باحترام وقد حظي المسلمون أيضا بالاحترام والتقدير.

لقد تحولت الطبقة الحاكمة الي الإسلام الذي صار عبادة ملكية؛ ففي أواخر القرنين الرابع عشر والخامس عشر، فان الحكام الورعين حاولوا تعزيز الإسلام ودعمه ،والذي بعد وفاتهم انحسر وفتح المجال للحركات الإصلاحية عن طريق الجهاد .

لقد ذكر (تريمنجهام)في نموذجه ذو الثلاث مراحل والخاص بعملية التحول الي الإسلام، فبالرغم من أن نموذجه يتشابه في بعض مظاهره مع ماذكره (هانويك) ،ولكنه أكثر تفصيلاً، وأدرج فيه عنصر العلماء. لقد تحدث عن التصور والأزمات وإعادة التكيف وفقاً للظروف او أوضاع المرحلة الأولي التي تتميز بالاتصال بين التجار والعلماء الذين يقودون المظاهر الأساسية للإسلام. النموذج الثاني نشر واستيعاب عناصر الثقافة الإسلامية والإضعاف والتقويض التدريجي للثقافة الإفريقية مما أدي الي تناقضات.

إن مستهل المرحلة الثالثة والتي علي ضوئها تم نبذ النفوذ الديني القديم وحل محله علماء المسلمين،فإن ازدواجية المرحلة الثانية أفسحت المجال (للتوازي)بالرغم من أن الإسلام مازال يعم كل الحياة الاجتماعية.

يشتمل نموذج فيشرأيضاً علي نموذج من ثلاثة مراحل للدخول في الإسلام: مرحلة العزلةالتي صار فيها الإسلام عقيدة أقلية ، ومزيج بين الإسلام وعناصر ماقبل الإسلام ومرحلة الإصلاح.

كل هذه النماذج مهمة ولكنها تعاني من ضعف في ناحيتين **أولاً** :صحتها تحتاج لبرهان ودليل عن طريق بينات تستقي من الجهة المستقبلة، أي ، الأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام .

ثانيا: الدور الدقيق للداعية المسلم المحلي في مختلف مراحل انتشار الأسلام ".

إنتشار الإسلام في إفريقيا : محاولة إقليمية:

لقد حدد كل من (تريمنجهام) و(الفاسي) و(هربك) سبعة (مناطق ثقافية) في إفريقيا دخل فيها الإسلام منذ القرن السابع وحتي القرن التاسع عشر، وهي: مصر، المغرب، غرب ووسط السودان ، سودان وادي النيل ،القرن الإفريقي والساحل الشرقي لإفريقيا .

منذ عهد قريب فإن الفاسي وهربك قد فحصا التطورات الأساسية في عملية إنتشار الإسلام علي أساس إقليمي منذ القرن السابع وحتي القرن الثامن عشر وهي :

أ- غزو العرب لمصر وشمال إفريقيا مما أوجد ظروفاً مناسبة للتحول التدريجي للسكان المحليين للإسلام.

ب- النشاطات التجارية للتجار العرب والمسلمين ،والتجار الفرس والأفارقة الذين أعطوا دفعة قوية لنشر الإسلام في إفريقيا المدارية .

ج-العلماء الذين أدخلوا الإسلام في الصومال وعززوه بين أولئك الذين إعتنقوا الإسلام من قبل .

د- إنتشار الإسلام في سودان وادي النيل عن طريق هجرات وإستقرار العرب الرعاة، ومن ثم الإنتشار اللاحق للدين الإسلامي في القرن الإفريقي عن طريق العشائر والأسر (16).

1.مصر:

بالرغم من أن فتح العرب لمصر يعتبر إصطلاحاً هو نقطة الإنطلاق لتاريخ الإسلام في إفريقيا إلا أن مصر (هي اول بلد تم غزوه بواسطة العرب) فإن الفتح لم يؤد مباشرة الي نشر الإسلام بين السكان المحليين فيها. (18)

ولكن نتيجة للتناقضات والمشاكل الداخلية في مصر -دينية وسياسية- بين الكنيسة القبطية من جهة والمصريون العاديون من جهة أخري ، فان السكان المحليين أعتنقوا الإسلام تدريجياً مما سهل الأمر للتدفق المستمر للبدو من شبه جزيرة العرب ومن الهلال الخصيب (19) . ولكن المصادر الأولي تفترض (أن الإنتشار السريع للإسلام في الأيام الأولي من الإحتلال. (20) لانعرف علي وجه الدقة- وهذه مسألة مهمة وحساسة- ماذا حدث حقيقة بين فترة وصول العرب الغزاة وإعتناق السكان المحليين للإسلام "كيف

وبواسطة من قد تمت الدعوة لهذا الدين ،وطريقة إعتناق السكان لهذا الدين.

في الواقع فان البينات الموجودة توضح أن الدعوة للدين الإسلامي كانت بطيئة وغير متناسقة ،وحتي سطحية، إذ أن إعتناق الدين الإسلامي صار هروباً من أعباء مالية فرضتها السلطات الإسلامية. (21)

إن الفترة منذ فتوحات العرب وحتي تأسيس السلطة الفاطمية، غامضة نحواً ما، فيما يتعلق بإنتشار الإسلام في إفريقيا. لقد تميزت تلك الفترة بالتغيرات ذات العلاقة بالسلطة الحاكمة –الإخشيديون – والطولونيون –والصراع من أجل السلطة بين الزعماء المحليين ومؤيدوهذه الزعامات الأجنبية .

إن وصول الفاطميين للسلطة كان باعثا للزحف الإسلامي (الدعوة) وذلك بانشاء مسجد وجامعة الأزهر. (22)

لقد إتخذت إجراءات قسرية ضد المسيحيين واليهود المحليين خلال قترةالحاكم (996-1021) والتي أدت إلي اعتناق الآف الأقباط للإسلام (23).إن فترة حكم المستنصر الطويلة (1036-1094 اتسمت ليس فقط بان بلغ حكم الفاطميين ذروته بل عملوا على التوسع الشيعي لما وراء مصر حتي السند واليمن. (24)

كان هناك أيضاً نمواً متواضعاً للمادة المكتوبة عن اللاهوت والقانون الإسماعيلي (25).

المرحلة الثانية في تاريخ إنتشار الإسلام في مصر هي فترة الأيوبيين والتي تميزت بسيطرة الإسلام السني بعد إنهيار سيطرة الفاطميين. لقد

انشئت الكليات الدينية في فترة صلاح الدين مؤسس السلالة الحاكمة الأيوبية .

كان دخول الإخوان الصوفية بمثابة باعث إضافي للبعث الإسلامي.

ان المظهر الهام الآخر للتاريخ الإسلامي في مصر خلال الفترة التي نبحث فيها هي علاقتها بالمغرب وغرب إفريقيا ،خاصة في المجال الثقافي.

وكما ذكر هربك "هذه العملية (الصلات الثقافية)لقد تحددت ليس فقط بواسطة مركز مصر في العالم الإسلامي ،ولكن بواسطة إنتشار الإسلام التدريجي والتعاليم الإسلامية في الحزام شبه الصحراوي "(23).بقاء الحجيج في مصر لفترة طويلة ، واكتسابهم للمعرفة واقتنائهم للكتب والمراسلات بين الحكام السودانين والمصريين فقد ساهم كل ذلك في توسيع أفاق علماء السودان وإكتسابهم لمعرفة واسعة وعميقة للعلوم الإسلامية (28).

أحد الآثار غير الملائمة لتأثير العلماء المصريين، هو غياب حركة الإصلاح الدينامكية للإسلام في غرب إفريقيا (29).

2-المغرب:

لقد أتت الحملة العسكرية للمغرب مباشرة بعد فتح العرب لمصر. إن عمرو بن العاص وعبدالله بن سعد ابن أبي السرح، حكام مصر علي التوالي قد شنا حملات علي المغرب في عام (643 و647) علي التوالي. (30).

كان تأسيس القيروان عام 670 بواسطة عقبة بن نافع عاملاً حاسماً في نشر الإسلام ،إذ أن علماء القيروان وعلماء المراكز الأخري كانوا

ذوى أثر مفيد في نشر الإسلام بين البربر بالرغم من ندرة المادة المكتوبه التي توضح العملية الفعليه لنشر الإسلام. كان الاتجاه الرئيسي هو إدخال البربر رسمياً للإسلام بعد إخضاعهم بواسطة الجيوش العربية وكانوا يعودون إلي معتقداتهم التقليدية بعد إنسحاب الجيوش.ومن المظاهر الأخرى من مظاهر انتشار الإسلام بين البربر هو إعتناق أسري الحرب من بين الأسر الكبيرة بعد تحريرها مما يشجع الآخرين في اقتفاء أثرهم .ولكن،لقد أثر ذلك علي قلة من السكان. إن انتشار الإسلام في المناطق الداخلية استغرق وقتاً طويلاً. عليه،فانه وفي النصف الأول من القرن الثامن الميلادي قد انتشر الإسلام بين الحضر والبدو والرحل في السهول والسواحل .(32)

لقد تبني البربر فكر الخوارج كفلسفة مقاومه ضد سيطرة العرب (وكتعبير للبربر عن قبولهم للإسلام كدين).

لقد عمل العديد من علماء الأباظيه بين البربر الذين تحولوا حقيقة وصدقاً وليس إسمياً). (33) إن نشر الإسلام في المغرب قد إكتمل في القرن العاشر الميلادي (43).

إن السمة التالية من تاريخ الإسلام في المغرب هي ظهور حركة المرابطين فمن أهم مظاهرها الدينية قد أوضحها (هربك، وديفس لفتزيون،وموريس فارباس)، لقد ذكروا :إن دولة الإسلام الظاهرية بين صنهاجة في الصحراء الغربية ومحاولة العسكريين الإسلاميين،لإقامة مملكة نقية وصارمة ،وأثر الحج أيقظ الوعي لدي قادة الموحدين لمواطن الضعف التي يعاني منها المسلمون. (35) إن تعدد طوائف المبتدعة مثل(برقوانا وابابديس)،وسيطرة الإسلام

الظاهري كان سبباً لإيقاظ الإسلام السني كرد فعل لمحاولة الفاطميين لفرض عقيدتهم، وقيام حركة الإصلاح الإسلامي.(36)

إن التعاليم الإسلامية فيما يتعلق بالمهدي في منطقة المغرب قد نهض بها صراحة محمد ابن تومارت، مؤسس حركة الموحدين. إن التراث الباقي للموحدين من وجهة نظر التطور الديني هو القوة الدافعة لنهضة الصوفية،وليس تعزيزا لحركة الإصلاح. (38)

غرب ووسط السودان :

إن دخول الإسلام لغرب السودان يؤرخ للدخول الكامل لسكان شمال إفريقيا والصحراء. لقد لعب علماء الخوارج والتجار وخاصة طائفة الأباظية ،دوراً رئسياً في العملية بفترة تسبق فترة المسلمين السنة ،لقد سهل إنتشار الإسلام لظهور المستوطنات التجارية علي طول طريق التجارة في الساحل والصحراء كما ذكر (الفاسي وهربك).

لقد ظهر الإسلام ولكن ليس كحدود متحركة تمثل الإعتناق الجماعي للإسلام ،في منطقة متصلة، ولكن كان علي شكل سلسلة مقاطعات حضرية في المراكز التجارية والسلطة السياسية. هذه المستوطنات علي طول الطرق التجارية وفي المراكز الرئسية كانت بمثابة مناطق حضانة تعزز إنتشار الإسلام .

أول من إعتنق الإسلام هم التجار المحليين وتلاهم الحكام والمقربين لهم. أول حاكم من غرب إفريقيا إعتنف الإسلام هو(وار دجابي) من بلاد التكرور في السنغال الأدني ،من قبله فقد إعتنق الإسلام رئيس جاو في عام (1009).وفي تاريخ مماثل لهذا التاريخ إعتنق ملك ملا ،دولة مالينك القديمة. (41)

لقد انتشر الإسلام في السودان الأوسط في القرن الحادي عشر وذلك عندما اعتنق حاكم دولة كانم الإسلام. (42) ولكن الإسلام الموحد المندمج كان خلال القرن الرابع عشر كنتيجة لنشاطات التجار وعلماء الدين، ووصول الأشراف.(43).

لقد دخل الإسلام الي غانا بسلام وتدريجياًعن طريق الدعوة والتاثير التجاري وليس عن طريق الغزو بواسطة المرابطين.(44).إن إعتناق حكام مالي الإسلام حدث في القرن الثالث عشر .إن التوسع التالي والتوحد الإسلامي جاء بظهور الدعاة والعلماء المحليين .(45)

في (سونقاي) فإن موقف الإسلام قد تم تحديده من فترة (اسكيا محمد) والفتره التي تلت ذلك.(46)

لقد ساهمت أيضا نهضة تومبوكتو كمركز للتجارة والقوافل الواسعة والحياة الفكرية النشطة في الوحدة الإسلامية(47).

في سنجامبيا في القرن السادس عشر فقد اعتنق الإسلام الغالبية العظمي لسكان غامبيا وتكرور فوياتورو. لقد تنقل علماء المسلمين بصورة واسعة علي ساحل غامبيا داعين للخضوع الكامل للتعاليم الإسلامية والرباطات الثلاث (للمعتزلة الصوفية)علي ضفاف غامبيا فقد كانت بمثابة مراكز لتدريب علماء الدين الذين حملوا الإسلام الي المناطق المجاورة. (48)

4- بلاد النوبة وسودان وادي النيل :

بالرغم من أن، النوبة ظلت علي اتصال مع العالم منذ أن فتح المسلمون مصر ،ولكن وجود الإسلام إعترض سبيله وجود دولتي

المقره وعلوه المسيحيتين. في القرن الثامن الميلادي هاجرت مجموعات العرب الرعاة من صعيد مصر.

6- ساحل افريقيا الشرقي :

لقد وصل الإسلام إلي الساحل الشمالي لشرق إفريقيا في القرن الثامن، والأجزاء الجنوبية قبل القرن الحادي عشر. لقد ظل الإسلام هو معتقد المجموعات التجارية الأجنبية دون أن يؤثروا علي السكان المحليين وذلك لأن (هؤلاء التجار الأجانب لم يطوروا أي نشاط من نشاطات الهداية) لقد ظل الحال كما عليه إلي القرن الثاني عشر حيث بدأ الإسلام يترك أثرا علي المجتمعات الساحلية إلي درجة مقدرة .

انتشار الإسلام : دور علماء الدين والتجار :

لقد افترض أن هناك صلة مباشرة وتلقائية وعفوية وجدت بين التوسع التجاري وبين نشر الإسلام ، لقد صارت فكرة عامة علي مستوي كل من العامة والعلماء حتى فترة قريبة ، لايسأل (أ) عن تاريخية انتشار الإسلام في إفريقيا (ب) يفترض انه صالح لبعض المناطق،وعن إمكانية تطبيقه لحقب تاريخية مختلفة ، وفى ظروف ولمجتمعات معينة.(57) فمن الضروري من الناحيتين النظرية والتاريخية التعريف بدقة حسب ماتسمح به المصادر المتاحة ، العلاقة الحقيقية بين التجار وانتشار الإسلام وفحص الكيفية التي اشترك بها التجار في نشر الهداية الجديدة .

لقد ذكر تيرمنجهام (إن الروايات التي ذكرها الكتاب العرب قد أوضحت إن الإسلام بدأ أول ظهور له من خلال عمليات التجار وإن مجرد وجود التجار المسلمين العرب شخصيا لايعني أنهم كانوا السبب في

اعتناق الإسلام أو تقترح أن التجار قد اشتركوا مباشرة في عملية دخول الناس في الإسلام إلا أذا برهنت ببينة مادية واضحة أنهم اشتركوا.

إن التفسير التجاري لنشر الدعوة الإسلامية يتسم بنقطتي ضعف: أولا إنه بني بصفة كبيرة علي افتراض عام ظهر للتغلب علي عدم وجود معلومات واقعية مفصلة وهو نتيجة لطبيعة المصادر المتوفرة . إن هذه المصادر لاتذكر لنا الكثير مما نريد أن نعرفه عن الخلفية الاجتماعية والتعليمية والطريقة التى تربوا بها، والطريقة التي يستغلون بها وقت فراغهم بغض النظر عن واجباتهم الدينية ، ودرجة التزامهم الديني وأهليتهم للهداية للدين ــ إنهم أيضا صامتون – وهذا شيء مهم – عند حضور أو غياب علماء الدين؛ بالرغم من أن بعض الكتاب اقترحوا أن التجار بصورة ثابتة يرافقهم علماء الدين الإسلامي ، ولقد أكدوا أن علماء الدين قد سمح لهم الحكام الأفارقة بممارسة ونشر ديانتهم . ثانيا ، إنها تحجب الدور الذي لعبه علماء الدين المتخصصين في نشر العقيدة وذلك بإعطاء دور أكبر للتجار اكبر من ذلك الذي منح لعلماء الدين.لقد وصف ليفتزيون التجار" بأنهم بمثابة أدوات لنشر الإسلام لما وراء حدود التوسع العسكري"(62) ، لقد اعتبر الفترة التي نشر فيها التجار الإسلام بمثابة المرحلة الثانية في عملية انتشار الإسلام ، وفي كتابات لاحقة ، فقد ذكر " لقد فتح التجار الطرق ، لقد عرضوا المجتمعات المعزولة لمؤثرات ثقافية خارجية ، وحافظوا علي الاتصالات ولكن يبدو أن التجار لم يشتركوا قاصدين في نشر الإسلام" .(64)

إذن بالإمكان دراسة الخلفية الاجتماعية الاقتصادية والتعليمية للتجار قبل اشتراكهم النشط في التجارة وينبغي أن يلقي الضوء علي مساهمتهم

الدقيقة في نشر الإسلام في والو، بإثيوبيا ، فقد كشف تحليل للنظام التعليمي التقليدي للمسلمين أن هناك علاقة خاصة بين الإسلام والتجارة . إن الذين حصلوا علي تعليم قرآني وتعليم فوق التعليم القرآني قد واجهوا صعوبة اقتصادية كبيرة (لعدم وجود دعم مؤسسي ومالي لنشاطاتهم ، وترحال واسع بحثا عن المعلمين). (65) لقد كان ذلك بمثابة تدريب غير رسمي للتجارة . عليه فإن التعليم الرسمي قد عزز اتجاها ايجابيا وميولا نحو التجارة والتي بدورها سهلت انتشار الإسلام ويبدو أن ذلك مظهرا مميزا للعلاقة بين التجارة والإسلام مع المساهمة السابقة للعون المادي للإسلام ، ومن ضمن هذه الأنماط: الحج ، المدارس القرآنية والمؤسسات الصوفية التي ينفق عليها بواسطة أشخاص كرماء مثل التجار والمزارعون الأثرياء . هذا الأمر صحيح وخاصة فى المناطق التي بها استقرار مكثف علي طول طرق التجارة ، أما في المناطق الريفية فالمزارعون وأصحاب الحرف قد ساهموا في الحفاظ علي طبقة علماء الدين وذلك عن طريق المنح (أراضي الوقف) وحصص معينة من الحبوب التي تعطي للعلماء .

لا جدال في أن التجار المسلمين قد لعبوا دورا تاريخيا بارزا ورائدا في خلق ظروف ملائمة ترسخت فيها الهداية وازدهرت. من الصعب تصور أو تخيل انتشار الإسلام في مناطق لم يسبق فيها التجار المسلمون وصول علماء الدين المسلمين ، ولكن إذا ركز علي هذه الحجة كثيرا فإنها تؤدي إلي تأكيد مثل إلي ذكره ماككول " هناك بعض الشك بأنه طالما أن التجار المسلمين يؤدون أعمالهم التجارية في إفريقيا جنوب الصحراء ، فإنهم أيضا يشرحون ويفسرون ويعظون" .68

لقد ذكر "والو" أن المعلمين المسلمين مشغولون بالتعليم ولديهم وقتا ضئيلا ومصادر غير مناسبة للعمل في التجارة. هناك سمات ثقافية محلية مرتبطة بالتجارة فكلمة عالم لا تسمح بالاتصال بالنساء في الأسواق لأن ذلك قد يؤدي إلي إغراءات ، عليه ، فإن المعلمين وعلماء الدين في إثيوبيا يبدو أنهم ، في أغلب الأحيان ، ينفرون مهنيا وثقافيا من التجارة .

إن المصادر العربية القديمة والتي في القرون الوسطي المتعلقة بإثيوبيا ، مثلا ، من الصعب أن تصف الصلة المباشرة بين نشاطات التجار ونشر الإسلام ، في الواقع هناك العديد من المراجع تشير إلي إقامة مستوطنات علي ساحل البحر الأحمر الإثيوبي تم تأسيسها بواسطة اسر عربية من الحجاز واليمن ، العديد منها يتكون من لاجئين سياسيين ورجال أتقياء مقارنة بمراكز تجارية ثم تأسيسها بواسطة التجار، ونادرا في توجد إشارات ضمنية لتجار اشتركوا في نشر الإسلام ، هناك العديد من المصادر التي تتحدث عن اعتناق الإسلام نتيجة لتأثير علماء الدين المسلمين ولا تتحدث عن التحول الديني نتيجة لجهود التجار . هذا هو التقليد مثلا ، لأصل السلالة المسلمة الحاكمة في سلطنات: "شاوا" "وعفط" ، لقد ذكر المقريزي أن أجداد السلالات الحاكمة التي ذكرت آنفا قد أتوا من الحجاز واستوطنوا بالقرب من زيلع ، لقد ذكر بوضوح(بعضهم حظي بسمعة نسبة لإحسانهم وشفقتهم) لقد ذكر سيريولي إن الدعوة للإسلام بين سكان جنوب إثيوبيا قد تأثرت نتيجة لاستيطان المهاجرين العرب وتشمل كل من التجار وعلماء الدين.(71)

من بين المجتمعات التي في شمال وجنوب غرب إثيوبيا فإن كل الأدلة التي تبين الدخول في الإسلام ، تركز علي الدور البارز المسبق الذي قام به علماء الدين المحليين في نشر العقيدة الإسلامية .(72)

كموضوع يوضح ويلقي الضوء ، فقد ناقش "سانح" أن الصورة التقليدية للتاجر والمحارب كأشخاص رئيسيين حملوا راية الإسلام إلي إفريقيا قد بولغ فيه من قبل العلماء إلي حد حجب الدور الحاسم والمؤثر لعلماء الدين في نشر الثقافة الإسلامية.(73)

لقد عبر ليتزبون" عن وجهة نظر مماثلة بملاحظته وذلك بينما حاول المؤرخون التركيز علي دور التجار في نشر الإسلام ، فإن التقاليد المحلية بين المجتمعات المسلمة المحلية قد ألقت الضوء علي رجال الدين الأتقياء من المسلمين.(74) لقد ركز "فيشر" علي دور المعلمين المسلمين ليس فقط بعطائهم في تعليم القراءة والكتابة والتربية بل باتصافهم بالمهارة في الصلاة والتوسل والتنبؤات التي لها قيم ينتفع بها أكبر عدد من الناس. (75)

إلي حد بعيد ، فإن أكبر بينة حاسمة بالنسبة للدور البارز الذي لعبه علماء الدين الإسلامي في غرس الثقافة وتنشيط الإسلام في إفريقيا اتسمت به فترة دخول وانتشار التعاليم الصوفية (الطرق) مفردها طريقة ، إن اعتناق العدد الكبير من الأفارقة الإسلام يعزي إلي الرجال الصالحين الذين تدربوا بطريقة التأمل الباطني وهو موضوع خارج عن إطار هذه الورقة .

اثيوبيا والقرن الإفريقي :

إن جزر دهلك بعيدا عن ساحل البحر الأحمر كان يسكنها المسلمون في بداية القرن الثامن الميلادي ، عند بداية القرن العاشر قامت هناك ادارة إسلامية مستقلة ، لقد كانت لتلك المنطقة علاقات تجارية مع مملكة اكسوم المسيحية وكانت تلك الجزر بمثابة بوابة لانتشار الإسلام ، بالرغم من أن دورها الرئيسي كمركز لنشر الإسلام تعرض لتحد بسبب الدولة المسيحية والكنيسة المسيحية حيث صارتا عائقا لدخول الإسلام للمناطق الداخلية (50).

الطريق الآخر لدخول الإسلام هو ميناء زيلع علي ساحل خليج عدن (51) لقد ظهرت العديد من المجتمعات التجارية المسلمة وتبع ذلك اقامة ولايات مستقرة في المناطق الداخلية في جنوب وشرق إثيوبيا إن سلطنة شوا (حتي نهاية القرن التاسع ولقد ذكر مؤسسوها أنهم ينتمون إلي بني مخزوم وهي عشيرة من مكة) لقد اقيمت "أيفات" بواسطة اسرة والاسماWalasma .

حسب ماذكر إبن خلدون ، لقد هرب جدود الوالاسما إلي ايفات كلاجئيين قادمين من دولة داموت Damut المسلمة القديمة والتي وفقا لاقوال شفهية ، يقولون انهم من أصل عربي ، ينتموه الي عقيل بن ابي طالب أو وفي رواية أخري أن مؤسسي الامارة ينحدرون من الحسن بن علي. (52) وهناك أيضا دويلات صغيرة هادية وبالي Hadya and Bali (53)

ان المجموعات الصومالية التي تعيش علي الساحل والمناطق الداخلية لخليج عدن كانت لديهم صلات قديمة مع التجار العرب والفرس الذين

استقروا في المدن وجاءوا بالاسلام معهم ، تذكر بعض الاقوال أن أجـــداد العديد من المجموعات القبلية أتت من شبه جزيـــرة العـــرب . إن الـــذين يقطنون في ساحل المحيط الهندي تأثروا المدن الساحلية كمقديشو ، برافـــا وميركا حيث استقر بها منذ بداية القرن العاشر العرب والتجار المسلمون. (54)

الهوامش والمراجع:

1) م . الفاسي وهربك ، مراحل في تطور الإسلام وإنتشاره في إفريقيا ، يونسكو ، التاريخ العام لإفريقيا ، 3 ، إفريقيا من القرن السابع إلي القرن الحادي عشر (لندن هاينمان للكتب التعليمية المحدودة ، بيركلي ، مطبعة جامعة كاليفورنيا ، باريس ، اليونسكو 1988م ، ص 71 .

2) بينجمان ري ، الأديان الإفريقية ، أمثال ، الطقوس ، والمجتمع (انجلود كليفس ، نيوجيرسي 1976 ، ص 175 ، انظر أيضا جيمس كريتزيك ووليام لويس ، الإسلام في إفريقيا (نيويورك ، شركة فإن نوستراند – راينر هولد – 1969)، ص 73

3) ص . سبنسر تريمنجهام ، تاريخ الإسلام في شرق إفريقيا ، مطبعة جامعة أكسفورد ، لندن 1962 ، ص 28 ، انظر ايضا الفاسي وهربك (مراحل تطور الإسلام .. ص 72

4) ترمنجهام ، 1959، ص 31 – 32

5) بول بوهنان وفيليب كيرتن ، إفريقيا والأفارقة , (مطبعة التاريخ الطبيعي: نيويورك 1971م ص 296

6) اتش ،جي ، فيشر " المغرب الشرقي والسودان الاوسط ، طبعة _(رولاند أوليفر) ، تاريخ إفريقيا / مجلد رقم 3 : مطبعة جامعة كمبردج 1977) ص 234 ، 313 ، انظر أيضا الأمين سانج (أصول نفوذ رجال الدين في إسلام غرب إفريقيا ، صحيفة تاريخ إفريقيا ، 17 ، 1 ، 1976، ص 49 ، 71

7) الفاسي وهربك ، ص 313

8) لمراجعة تاريخ الإسلام في إفريقيا ، أنظر جي ، أو ، هانويك (دراسة المسلمين في إفريقيا ، في طبعة كريستوفر فيف ، دراسات إفريقية منذ 1945 (أدنبره ، 1976) ص 136 – ص 313

9) فيشر ، ص 313

10) مرجع سابق ، ص 285 ، الفاسي وهربك ، صفحات 62- 65 ، 72،/ 74، 76 ، 78 ، 80

11) فيشر ، مرجع سابق صفحات 285 – 285 ، 313 ، الفاسي وهربك ، مرجع سابق 72.

12) فيشر ، مرجع سابق ، صفحات 284 – 285 313

13) جي . أو . هانويك : (الإسلام في غرب إفريقيا 1000 – 1800 بعد الميلاد ، طبعة جي . أف ، أجاي وأيان ايسبي (تاريخ غرب إفريقيا منذ الآن السنين : زلسون ثوماس 1965) ، ص 129 – 130

14) جي سبنسر تريمنجهام : أثر الإسلام علي إفريقيا (فريدريك بريجر : نيويورك ، واشنطن 1968) ، ص 134

15) همفري جي ، فيشر (بعض مظاهر التحول الديني في إفريقيا السوداء) إفريقيا ، 13 ، 1 (1973) ، ص 31 ، أنظر أيضا(دفاع كلامي لجيقر نوت : التحول إلي الإسلام ،

16) الفاسي وهربك ، مرجع سابق ، صفحات 90 – 91

17) مرجع سابق ، ص 59

18) مرجع سابق ، ص 91 انظر ايضا بي جي ، فاتيكيوتيس ، التاريخ الحديث لمصر (وايند فيلد ونيكسون : لندن ، 1969) ص 15 ، تريمنجهام : اثر الإسلام علي ص 7

19) الفاسي وهربك ، مرجع سابق ص 61

20) مرجع سابق ، ص 59

21) مرجع سابق ، ص 59

22) تي ، بيايكوس ، مصر منذ احتلال العرب حتي نهاية دولة الفاطميين 1171) في الفاسي وهربك ،/ مرجع سابق ، ص 170 ، بيرنارد لويس ، (مصر وسوريا) طبعة برنارد لويس (تاريخ الإسلام – كامبردج) ، مجلد 1 أ ، مطبعة جامعة كامبردج 1970 ، ص 176

23) ايفان هربك (مصر النوبة والصحاري الشرقية) ، ص 11- 12

24) مرجع سابق ، صفحات 12-13 – بيانكويس ، مصر منذ الفتح العربي ، ص 184 .

25) هربك ، مصر ، النوبة ن ص 14

26) مرجع سابق ، صفحات 21 – 22

27) مرجع سابق صفحات 31 – 32

28) مرجع سابق ، ص 92

29) مرجع سابق ، ص 93

30) إتش موني (فتح شمال إفريقيا ومقاومة البربر) في الفاسي وهربك ، مرجع سابق ص 229 – 231

31) الفاسي وهربك ، ص 62 ، ادولف فور (الإسلام في شمال غرب إفريقيا ،/(المغرب) طبعة اربيري ، الدين في الشرق الأوسط ، ثلاثة أديان تتوافق وتتنازع ، المجلد 2 ، مطبعة جامعة كمبردج ، الإسلام 1960 ، ص 175

32) الفاسي وهربك ، ص 63

33) مرجع سابق ، صفحات 64- 65 ، موني ، ص 240

34) مرجع سابق ، ص 66

35) جي . هربك وجي ديفس (المرابطون) في الناس وهربك ، مرجع سابق ، ص 337 ، نيميا يفتريون (المغرب الغربي والسودان) مجلد 3 cha ص 331 موريس فارياسن (المرابطون) اسئلة عن شخصية الحركة في خلال فتراتها واتصالاتها الوثيقة بالسودان الغربي ، مجلة المعهد الفرنسي لافريقيا السوداء ، العدد 24 (1967) ص 798 ، انظر ايضا نوريس (بينة جديدة في حياة عبدالله بن يس واصل حركة المرابطين 12,2 Iah 1971 صفحات ص 267 – 268

36) هربك وديفس : (المرابطون ص 341- 342 ، ليفتزون : (المغرب العربي ..) ص 338

37) ليفتزون ، ص 340

38) مرجع سابق ص 464

39) مرجع سابق ص 364

40) الفاسي وهربك ن ص 69 – 71

41) مرجع سابق ، صفحات 71 – 72

42) مرجع سابق صفحات 70 – 72– 73 ايجاي وميشيل كرودر ، تاريخ غرب إفريقيا (لندن لونقمان ، الطبعة الثانية 1976) ص 136

43) مرجع سابق ، ص 73 ، 79– 80 ، فيشر (المغرب الغربي ..) صفحات 294 – 296

44) الفاسي وهربك ص 74

45) مرجع سابق ، ص 76 ، 78 ، ليفتزيون (المغرب الغربي) صفحات 381 – 390 – 394

46) الفاسي وهربك ص 80 ، ليفتزيون ، ص 428 – 430 ، تريمنجهام ، أثر الإسلام ، ص 14

47) ليفتزيون ، ص 416 – 420

48) الفاسي وهربك ، ص 80

49) مرجع سابق ن صفحات 81 – 84 – تريمنجهام ، (أثر الإسلام علي صفحات 22– 25 ، هربك(مصر ، النوبة ..) صفحات 71 – 80

50) اي . سيرولي (علاقات إثيوبيا بالعالم الإسلامي) في الفاسي وهربك ، مرجع سابق ص 577

51) تاديسي وتمرات (إثيوبيا ، البحر الأحمر والقرن) cha,3صفحات 121 – 122

52) تاديسي ، ص 105 – 107 ، 139

53) سيرولي ، ص 580 – 582

54) تاديسي ، صفحات 140 – 143 ، الفاسي وهربك ، ص 86

55) الفاسي وهربك ، ص 87 ، تاديسي ، ص 87 ، تاديسي صفحات 136 – 139 ، انظر ايضا ال ،كابتيجين (اثيوبيا والقرن) في يلفتزيون وباولز (تاريخ الإسلام في إفريقيا) مطبعة جامعة اوهايو : ص 227 – 250 .

56) أف ، تي ، ماسو وإتش ، دبليو موتور : (ساحل شرق إفريقيا وجزر القمر) في الفاسي وهربك ، مرجع سابق ص 605 .

57) المرجع السابق ص 606

58) بجانب ماذكر آنفا ، فإن بعض العلماء في الفترة الأخيرة الذين تساءلوا عن الصلة الطبيعية بين الإسلام والتجارة منهم ابنركوهين ، (استراتيجيات طبيعية في تنظيم تجارة دياسبورا يdiasparas في طبعة كلود ميلا سوكس(تطور التجارة المحلية والاسواق في غرب إفريقيا) (لندن 1971) صفحات 277 – 278 وهمتري فيشر (حاسيبو : العلاج الإسلام في إفريقيا السوداء) طبعة ميشيل بيرن (شمال إفريقيا ، الإسلام والحداثة) (لندن 1973) صفحات 23– 24

59) حالة جاك هنك في سنجامبيا حالة استثنائية وموثقة جيدا : فيليب كيرتن (الشبكات التجارية والتجار) قبل الاستعمار دياكهنك) في ميليساسوكي ص 229 ولامين سانج ، جاكهنك : تاريخ علماء المسلمين في سنجامبيا ، (لندن 1979) .

60) تريمنجهام : الإسلام في غرب إفريقيا ص 25– (الإسلام في اثيوبيا) ، ص 139 – 61

61) بحث بيرموس الشيف عن الأساليب المستخدمة في نشر الإسلام وانتقاداته للذين اشتركوا في الدعوة فهي ذات صلة وتحتاج إلي متابعة ، خاصة في الفترة الأولي الانتشار الإسلام في إفريقيا) أنظر ام ، ايه ، بيدموس (الدعوة في إفريقيا وسؤال عن اساليبها) في الإسلام في افريقيا (محضر جلسات مؤتمر الإسلام في إفريقيا ، ابوجا 1989)(عبادات 1993) صفحات 155– 165.

62) نيميا ليفتزيون (المسلمون والرؤساء في غرب إفريقيا)) مطبعة اسكفور 1968) صفحات 23 ، رولاند اوليفر (مقدمة بعض المحاور الإقليمية) cha3 صفحة 2

63) نيميا ليفتزيون : اعتناق الإسلام (نيويورك ، لندن 1979) ص 15

64) مرجع سابق (غانا القديمة ومالي) (لندن 1973) ، ص 187

65) نفس المرجع السابق (اعتناق الإسلام) ص 16

66) نفس المرجع السابق

67) انظر الكتاب المعاصرين (التعليم الإسلامي التقليدي في والو) في محضر اجتماعات المؤتمر الدولي التاسع للدراسات الإثيوبية (موسكو 26- 29 اغسطس 1986) (موسكو 1988) مجلد 3 ، صفحات 94- 106 عن الوقف ، انظر ، مرجع سابق (اراضي الوقف في القرن التاسع عشر في والو(اثيوبيا) في طبعه دونالد كرومي ، (الأرض ، التعليم ، والدولة في السودان الإفريقي ، (تيرينتون اسمرا ، اريتريا : مطبعة البحر الاحمر ، 2005 ، صفحات 291 – 250

68) روبرت هورتون : (عقلانية التحول الديني) إفريقيا 45 – 3 – (1975) الجزء الأول ، صفحة 290 – و224 (1975) جزء 2 ، ص 374

69) دانيال ماكول ونورمان بيني (مظاهر الإسلام في غرب إفريقيا) بوسطن : 1971) ص 18

70) الراوي شيخ الحاج محمد تاج الدين بن احمد (لقاءهه في 70/5/ 1982 ، انظر فيشر (المغرب الشرقي ..) ص 284 – 285

71) اقتباس من تريمنجهام (الإسلام في إثيوبيا) ص 59 (روما : الاكاديمية العالمية 1971 ، ص 115

72) تريمنجهام : الإسلام في اثيوبيا ، ص 154 – 155- 156 – 157 ، 162- 163 – 168 – 177 – محمد حسين (أورمو الاثيوبيون 1500 – 1800 ، مع تركيز خاص علي اقليم جيبي Gibe (رسالة دكتوراه جامعة لندن 1983) ص 399 ، 425 ، 494 ، 498 (طبعت الرسالة فيما بعد تحت عنوان أوروماسانج (أصل علماء الدين ص 49 – 71)

73) ليفتزيون : _(اعتناق الإسلام) ، ص 16

74) فيشر (المغرب الشرقي)، ص 234 ، 285، 313 ، 316